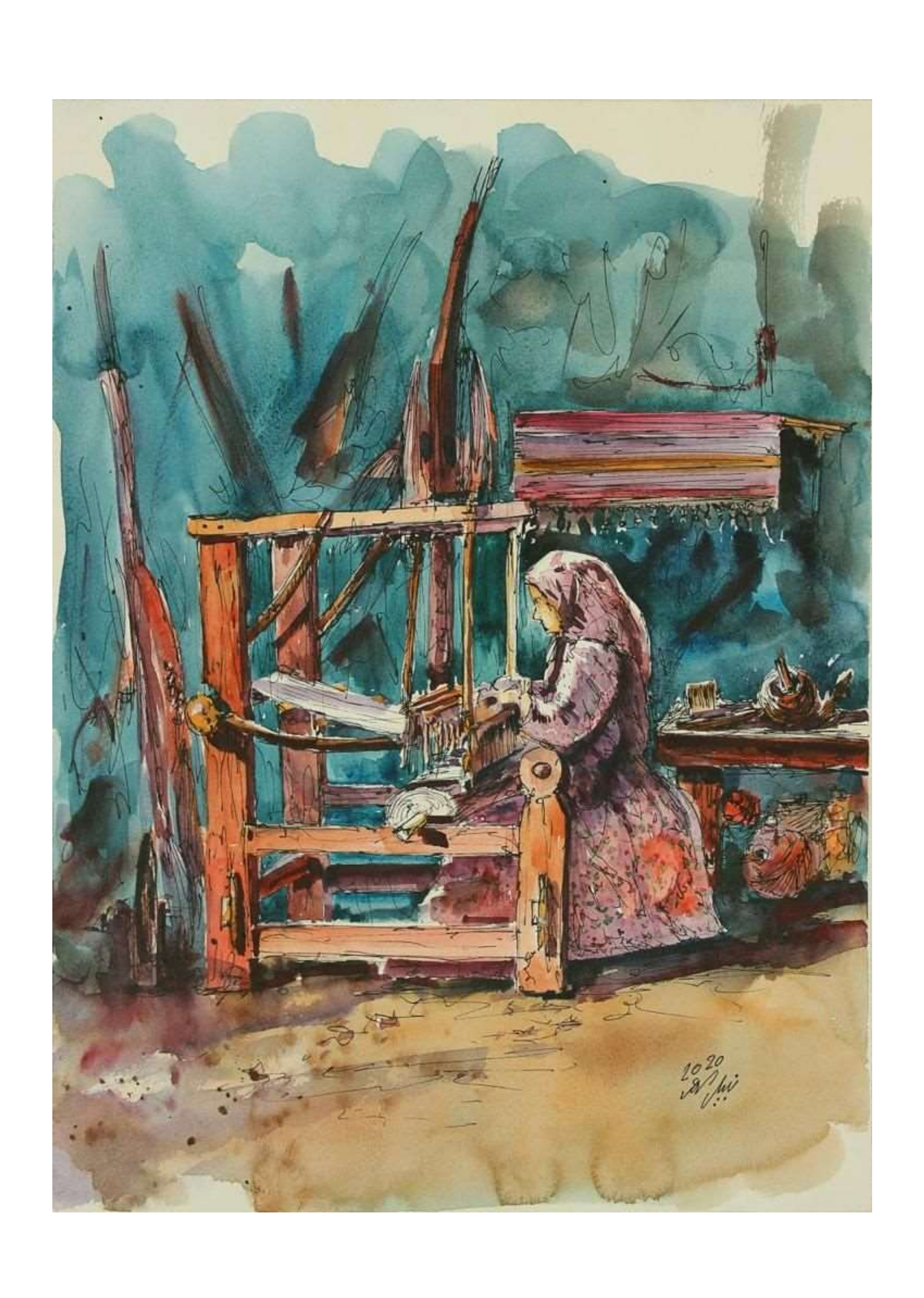
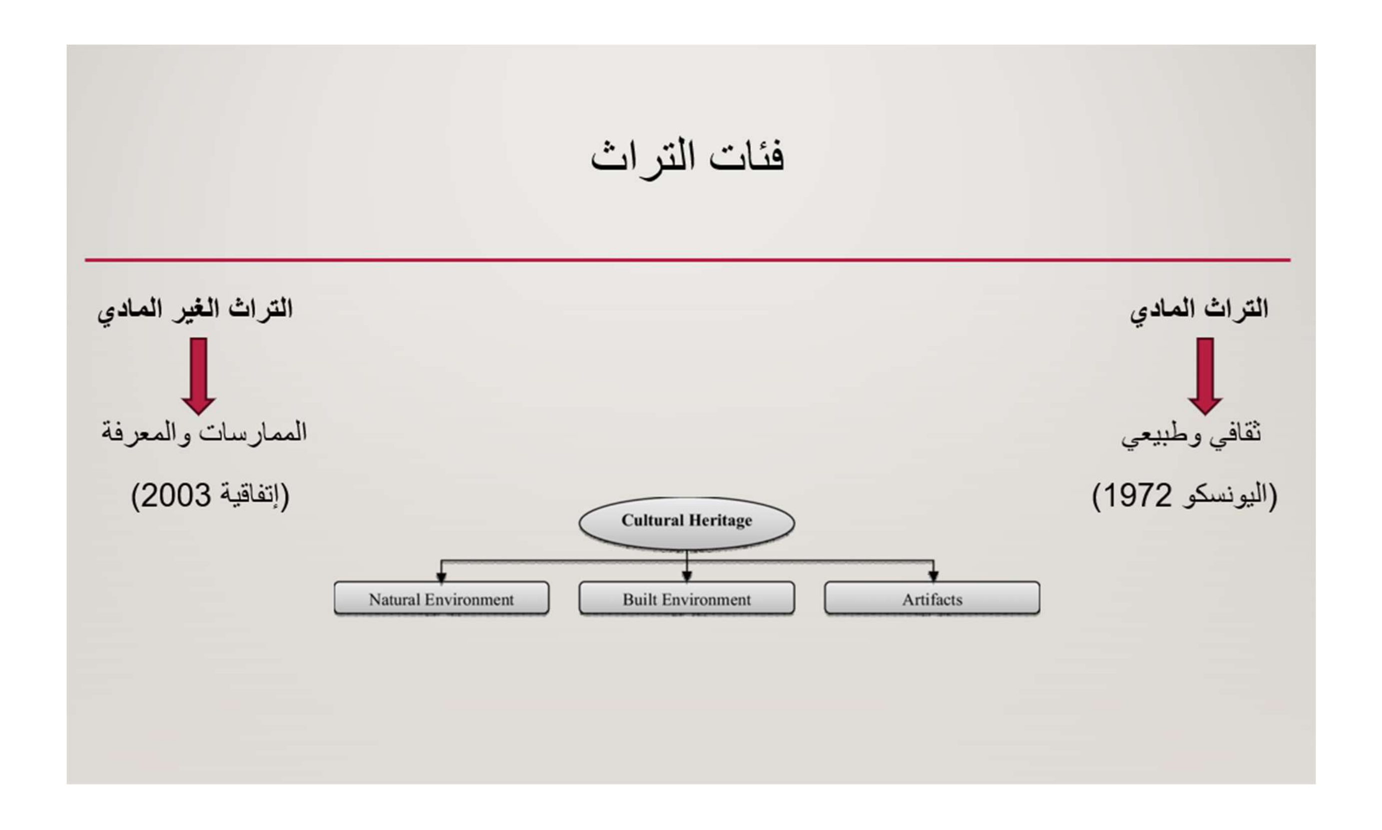
الحياكة في لبنان من منظور الموروث غير المادي

سهيل منيمنة



في الوقت الحاضر، هناك فئتان رئيسيتان من التراث تهيمنان على المستوى الدولي: المادي وغير المادي، ويمكن تصنيف كل منهما بدرجة أكبر. وهكذا، على سبيل المثال، يتم تصنيف التراث المادي في اتفاقية اليونسكو لعام 1972 بشأن حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي إلى ثقافي وطبيعي، ولكل فئة المزيد من التقسيمات الفرعية.

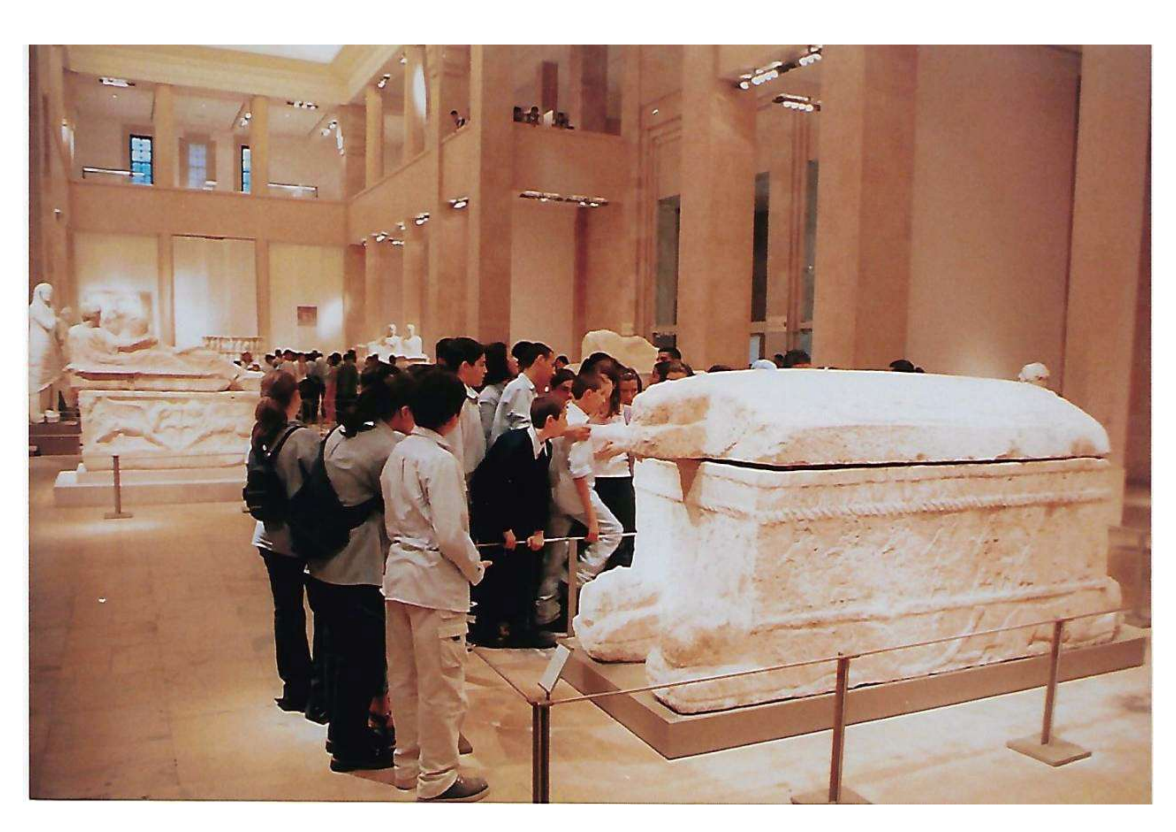
لكن بالطبع لم يكن كافياً توسيع نطاق اتفاقية عام 1972 لتشمل عناصر غير ملموسة فتم تطوير ميثاق دولي مختلف لضمان الحفاظ السليم على التراث غير المادي. ثم تم بعد ذلك اعتماد اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي في تشرين الأول/ أكتوبر 2003 ، ودخلت حيز التنفيذ في نيسان/ أبريل 2006. وتعرّف الاتفاقية التراث الثقافي غير المادي بأنه الممارسات والتمثيلات وأشكال التعبير والمعرفة والمهارات - فضلاً عن الأدوات والأشياء والمصنوعات اليدوية والمساحات الثقافية المرتبطة بها - التي تعترف بها المجتمعات والجماعات، وفي بعض الحالات، الأفراد كجزء من تراثهم الثقافي (اليونسكو 2003، المادة 2).



مفهوم التراث ومكانته:

للتراث معاني مختلفة يتفرع عنها تعريفات مرفقة به. ويمكن تعريفه على أنه "أي شيء يرغب شخص ما في الحفاظ عليه أو جمعه". ويمكن وصف هذا المعنى كشيء يريد المرء الاحتفاظ به أو الحفاظ عليه إلى حد كبير. ويحدد أكثر الباحثين العالميين خمسة جوانب موضوعية للتراث هي:

1. مرادف لأي أثر للبقاء الفكري للماضي.
2. فكرة الذكريات الفردية والجماعية من منظور الجوانب غير المادية للماضي عندما يُنظر إليها من الحاضر.
3. كل إنتاجية ثقافية وفنية متراكمة.
4. البيئة الطبيعية.
5. نشاط تجاري رئيسي، مثل صناعة التراث.



الصورة من موقع مؤسسة التراث الوطني

هناك مراحل مميزة يجب أن يمر بها عنصر ما حتى يطلق عليه التراث، مثل تكوين التراث والاعتراف به وتخصيصه وتفسيره وفقدانه. وهناك أسباب مختلفة تجعل العناصر تصبح تراثاً، ولكن ربما تكون أكثرها شيوعاً هي التقادم، والبقاء، وندرة القيمة، والإبداع الفني، والارتباط.



يشمل التراث الثقافي غير المادي، كما عرّفته اليونسكو، الممارسات والتمثيلات والتعبيرات والمعارف والمهارات التي تعترف بها المجتمعات كجزء من تراثها الثقافي. ويشمل ذلك:

- التقاليد الشفهية
- الفنون الأدائية
- الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات
- المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون
- الحرف التقليدية

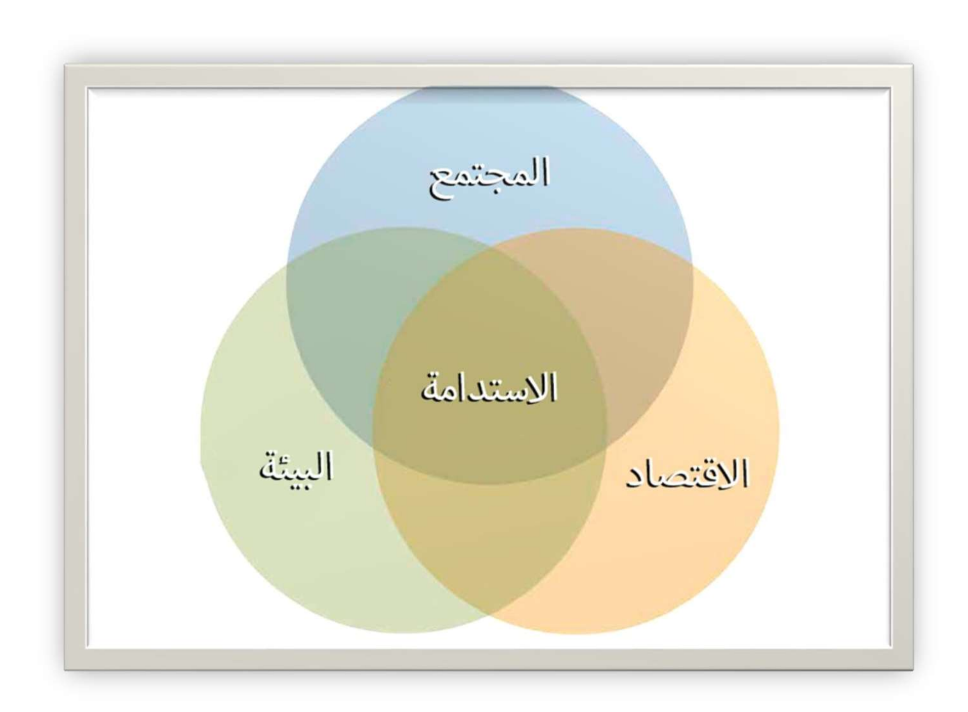


الحكوتي كمثال للفنون الأدائية

ويمكن أن نلاحظ أن الأكثر أهمية في عملية تكوين التراث هو التعرف الصحيح والموثق والإعتراف به، حيث تصبح العناصر تراثاً فقط إذا تم التعرف عليها على هذا النحو. فليس كل ما هو قديم أو نادر يصبح تراثاً. ويتم التعرف على الأشياء على أنها تراث لأسباب مختلفة، مثل البحث الشامل حول عنصر معين، والذي يعدد الأسباب المقنعة التي تجعل العنصر له أهمية ويستحق الحفاظ عليه... وسبب آخر للاعتراف بالتراث قد يكون تحولاً في الهيكل السياسي أو الإداري، عندما تظهر العناصر المنسية مرة أخرى، وذلك أساساً لتبرير أو دعم نظام قائم. فكثيراً ما يكون تحديد التراث والاعتراف به هو عمل سياسي لأن "القرار بشأن ما يعتبر جديراً بالحماية والحفظ ويتم اتخاذه عموماً من قبل سلطات الدولة على المستوى الوطني والمنظمات الحكومية الدولية - التي تضم الدول الأعضاء - على المستوى الدولي".

فإذاً نحن نحافظ على التراث لأسباب عديدة أهمها:

- هي أحدى أهم الوسائل للحفاظ على هويتنا.
- هي واقع ثقافي يمهد الطريق لجميع الأشخاص من مختلف مجموعات المهارات والتخصصات الأكاديمية ليكونوا واجهة موحدة لقضية نبيلة للغاية.
- في الحفاظ على تراثنا الثقافي يمكننا التواصل مع الناس في جميع أنحاء العالم لمشاركة تراثهم الثقافي والتاريخي مما يعود بالمنفعة الثقافية والاقتصادية على بلدنا من خلال المؤسسات الكبيرة التي تعنى بالتراث العالمي.
- الإستدامة: تُعرَّف الاستدامة بأنها "القدرة على تلبية احتياجات الجيل الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتهم". وإلى الآن فإن التنمية المستدامة للمدينة ليس لها إطار عمل محدد يضيّق الفجوة بين النظرية والتطبيق. وإدراكاً لأدوارهم الرئيسية ، بدأ مخططو المدن في إعادة تشكيل وإعادة تصميم بيئاتنا المبنية والطبيعية للاستجابة للتحدي.



تلعب التنمية المستدامة الدور المحوري في المجتمع كونها نواة المبادئ الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وأن التراث الثقافي يجمع الناس معاً، وقيمته الاقتصادية الإجمالية هي أكبر من مجموع أجزائه.

الحياكة في لبنان من منظور الموروث غير المادي



العلاقة بين التراث غير المادي وأنوال الحياكة متجذرة بعمق في التقاليد الثقافية ونقل المهارات الحرفية عبر الأجيال.

تُعدّ الحياكة بالنول مهارة حرفية تقليدية تتوارثها الأجيال، وغالباً ما تعكس الهوية الثقافية للمجتمعات. ويُعتبر تراثاً غير مادي للأسباب التالية:

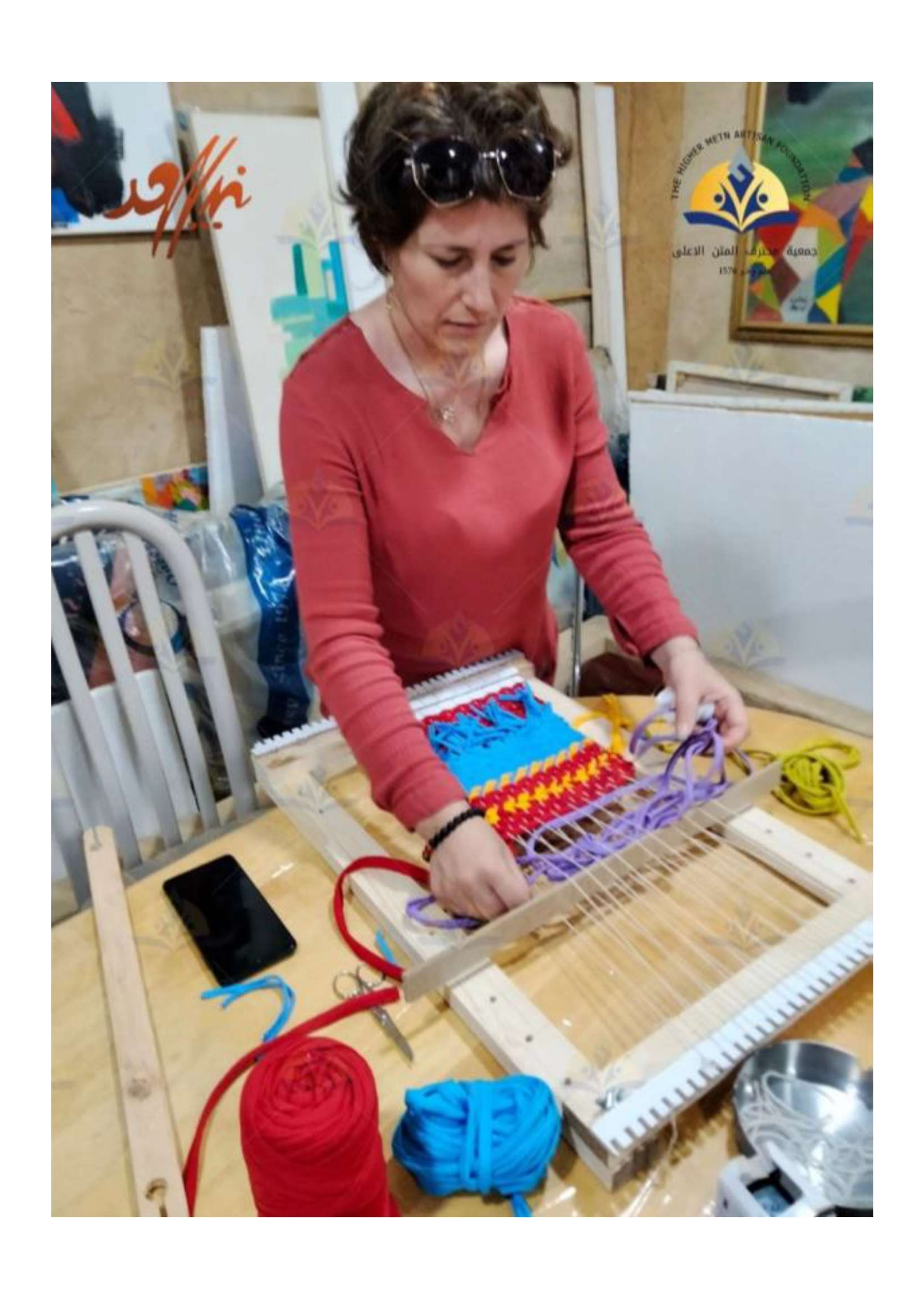
1. المهارات والتقنيات:

تُدرّس أساليب الحياكة بالنول، مثل إعداد النول، وإنشاء الأنماط، والعمل بأنواع مختلفة من الخيوط، تقليدياً من خلال الممارسة والتعليم الشفهي.



2. الهوية الثقافية:

تتميز الثقافات المختلفة بتصاميم نول وتقنيات حياكة فريدة (مثل نسج الذوق وبرجا، وأنماط الحياكة في مناطق مختلفة) تعكس التراث المحلي.



3. الممارسات المجتمعية:

في العديد من الثقافات، يُعد نسج النول نشاطًا جماعيًا يتم فيه تبادل القصص والمعرفة، مما يعزز الروابط المجتمعية.

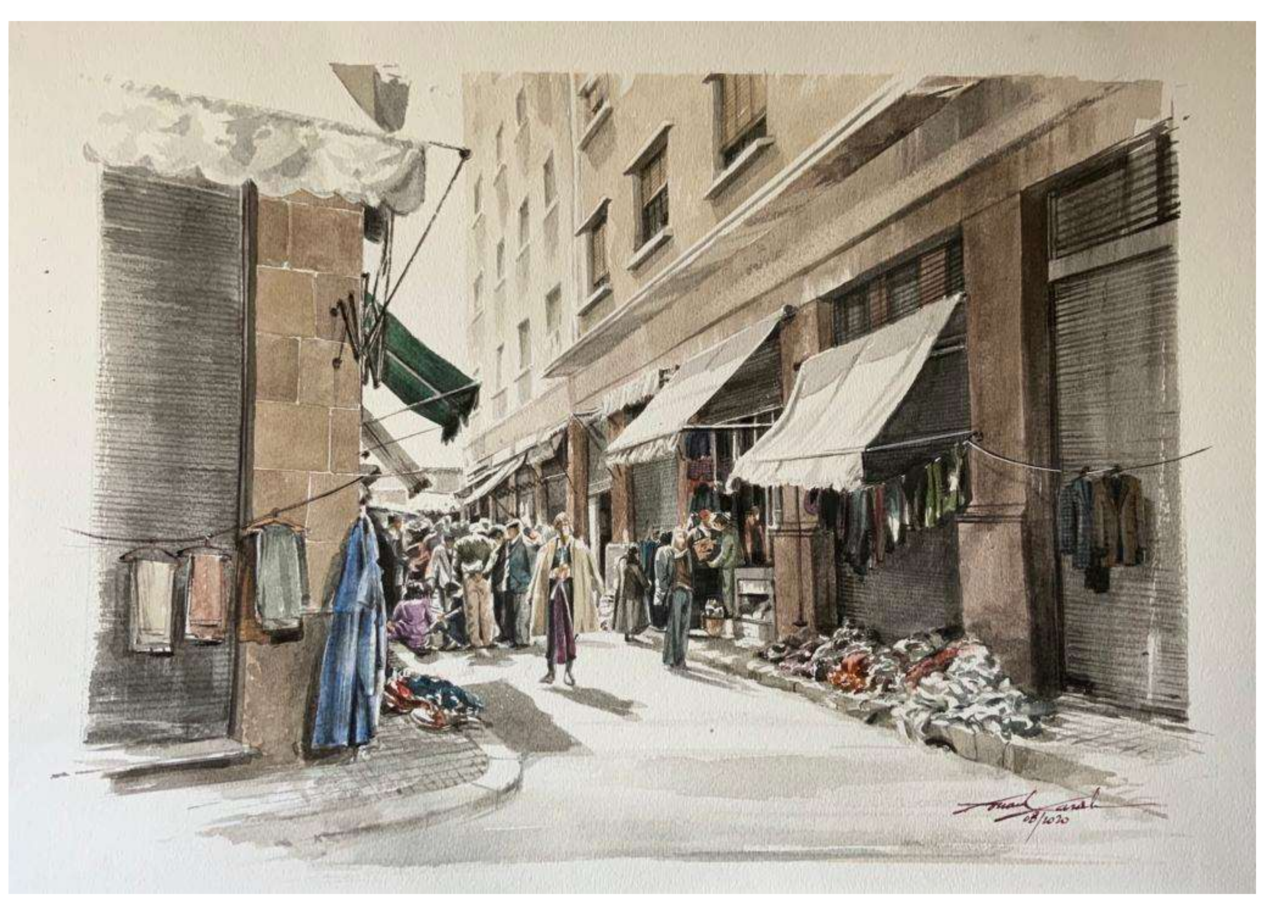


4. الحفاظ على التقاليد:

غالباً ما يحافظ نسج النول على التصاميم والزخارف وتقنيات صناعة الملابس القديمة التي ترمز إلى التراث الثقافي.



إرتبطت مهنة الحياكة ببعض القرى والبلدات في جبل لبنان، اشتهر منها بلدات الذوق وبيت شباب وبكفيا والفريكة وحملايا وقرنة الحمراء والمياسة وبرجا. يقول الشيخ جمال جميل بشاشة: "مهنة الحياكة كانت مورد رزق لأبناء برجا، هذه الصناعة التي كانت فوائدها تعمّ الجميع، فتاجر الغزل يربح من بيع بضاعته، والحائك صاحب النول يربح من بيع منتوجاته، والحائك الذي لا يملك نولاً ولا رأسمالٍ يشتري به الغزل يجد فرصة للعمل عند أصحاب الأنوال، والبائع المتجول يحقق من خلال تجاربه أرباحاً لا بأس بها، وكذلك المرأة والصبية؛ كل منهما تأكل من كسب يدها، حيث كانت النساء تعملن في التسدية أو التموسر، أو اللقي والتعقيد، وأحياناً العمل في النول، أو تصريف البضاعة في برجا وخارجها، وخاصة في بيروت وقرى الشوف، وقديماً عملن في الدامور بحلّ الشرانق في الحلالات، ولف خيوط الحرير في الكرخانات. فالحياكة إذاً كانت تيسر العمل والكسب للكثر من أبناء برجا، وتؤمن لهم معيشتهم، وتحقق الاكتفاء الذاتي من الشراشف والأقمشة وغيرها".



بائعو الأقمشة في وسط بيروت منتصف خمسينيات القرن الماضي

بعد أن أخذنا فكرة عن الحياكة في لبنان، أود أن أعطي أمثلة على نسج النول كتراث غير مادي عند بعض المجتمعات:

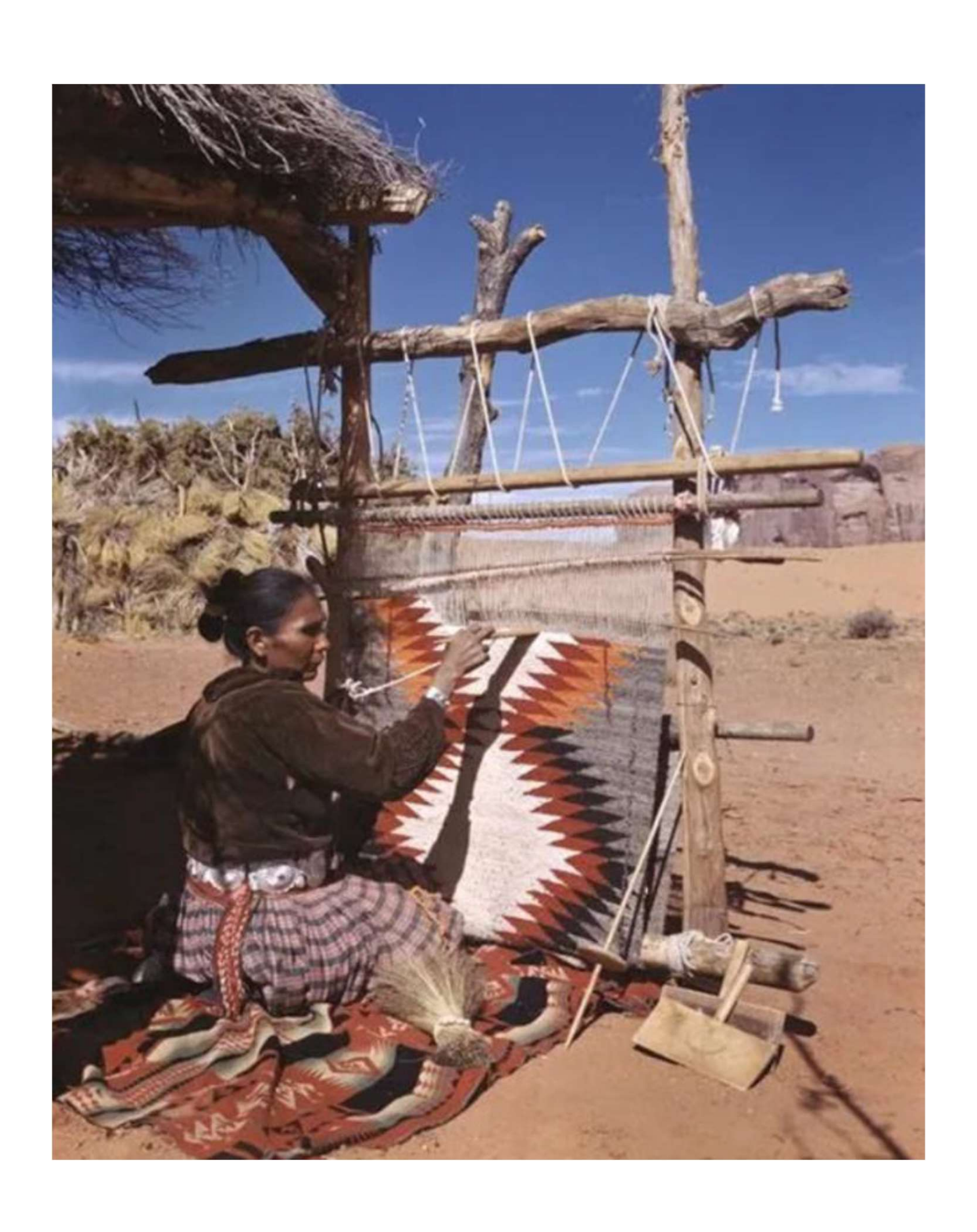
• **نسج الأنديز البيروفي:**

تقليد عريق يعود إلى قرون مضت، يُنتج منسوجات نابضة بالحياة، غالبًا ما تحمل أنماطاً رمزية تمثل الطبيعة والأساطير.



• **نسج نافاجو**:

نسج نول تقليدي للأمريكيين الأصليين يُنتج البطانيات والسجاد، ولكل تصميم أهمية تاريخية وروحية.



- **أنماط الحياكة الإسكندنافية:**

متوارثة عبر العائلات، مع أنماط محددة تُحدد أصل الحرفة.



خلاصة:

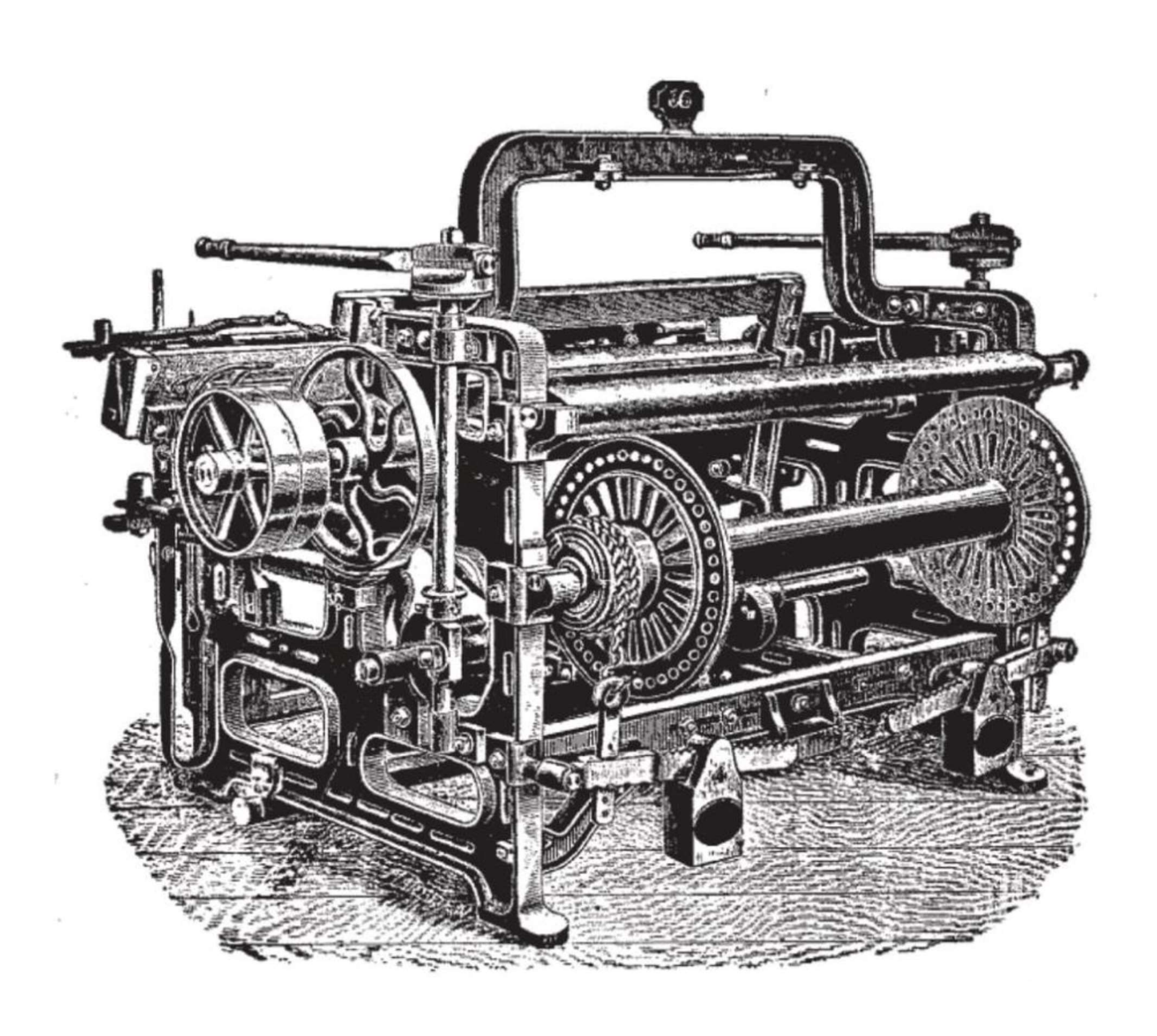
تُعدّ أنوال الحياكة أدواتٍ ماديةً في ممارسة التراث غير المادي، بينما تُشكّل المهارات والأنماط والمعارف الثقافية المرتبطة بها التراثَ نفسه. إنّ حماية هذه المهارات لا تعني الحفاظ على الحرفة فحسب، بل على القصص والهويات الثقافية المرتبطة بها أيضًا.

لمحة تاريخية

قديماً كان الناس يقومون بتصنيع معظم ملابسهم الصوفية في منازلهم. وكان الغزل يتم حصريًا تقريبًا بالطريقة هذه، حتى عام 1767، عندما اخترع جيمس هيرجريفز James Heargreaves، الإنجليزي، آلة لغزل القطن، أطلق عليها اسم جيني Jenny. كان هذا يتكون في البداية من ثمانية مغازل، يتم تحريكها بواسطة عجلة أو أسطوانة مشتركة، يتم تدويرها يدويًا. وزاد عدد المغازل بعد ذلك إلى أربعة وثمانين مغزلاً.



بعد ذلك وحوالي سنة 1870 فإن الطريقة القديمة لتمشيط الصوف حل محلها استخدام الآلات، أولها اخترعها البريطاني إدموند كارترايت Edmond Cartwright. ويتم بواسطتها ترتيب ألياف الكتان في اتجاه متوازي ، ويتم تحريرهم من السحب عن طريق سحبهم من خلال فتحة.



صورتان من مدينة طرابلس لنول مخصص لحل الحرير كان يستخدم قديماً في لبنان

(مجموعة خاصة)





مسؤولية جيل الشباب

يجب أن يدرك جيل الشباب قيمة وضرورة الحفاظ على التراث الثقافي ويدرك ويؤمن أن هذا شيء يفتخر به في كل الأوقات. من المؤكد أن الجيل الحالي يتمسك بقوة بمجتمعه الراهن، ولكن عليه مسؤولية نقل هذه الأمانة إلى الجيل التالي حتى تستمر في الازدهار لعدة أجيال أخرى. وعلينا الانتباه أن الحفاظ على التنوع الثقافي لا يساعد فقط أولئك الذين نحمي تقاليدهم، لكنه أيضاً يحافظ على أساليب التفكير التي يمكننا أن نتعلم منها وعنها.



إحدى ندوات "نقل التراث إلى الأجيال القادمة" التي قمت بها في عدد من المدن والبلدات اللبنانية مع البروفسور أنطوان مسرّة والشاعر الدكتور هنري زغيب

اليوم، وفي ظل عهد جديد نتوسم فيه ترسيخ المواطنة الحقّة والهوية الأصيلة الوحيدة، خاصة على مقاعد دراسة الناشئة، لا بد لي أن أذكّر بخلاصة ما كتبته سابقاً في عدة مقالات نشرت في الصحف المحلية والعربية : ".. التراث هو مادة هامة تستحق أن تكون في مناهج المواد التعليمية التي تدرّس في مدارس الناشئة في لبنان لترسيخ جذور المواطنة الحقة في نفوسهم وليكون لديهم عتاد combat kit يواجهون به من يتآمر على هويتهم ومحيطهم وتاريخهم".

Credits

لوحة الغلاف: سيدة على نولها في بلدة برجا في لبنان.

مائية بريشة وتقدمة الفنان التشكيلي اللبناني الأستاذ نبيل سعد.

لوحة "بائعو الأقمشة في وسط بيروت" بريشة وتقدمة المهندس والفنان التشكيلي اللبناني الأستاذ فؤاد فرح.

صور التدريب على الحياكة على النول من مجموعة الأستاذ نبيل سعد في محترفه وخلال دورات تدريبه في المناطق.

صورة ماكينة كارترايت من موقع History Crunch

صورة نول هيرجريفز من موقع Britannica

صورة نول نافاجو من موقع Medium

صورة نول الأنديز البيروفي من موقع Trans-Americas

صورة النول الاسكندنافي من موقع Garnstudio وصفحة Laugets Vævekurser